أ.د أحمد مرسي...مسيرة عطاء فى حب التراث

أ.د حسام محسب[8]

إن الحديث عن الأستاذ الدكتور أحمد على مرسي– إنما هو حديث عن رحلة طويلة من العطاء ومسيرة حافلة بالعديد من صور الحب والإخلاص لعمله فى مجال التراث، وكذلك لكونه إنسانًا محبًا معطاءً وملهمًا لكل من حوله.

لقد التمست الجانب الإنساني للدكتور أحمد مرسي من خلال معرفتى الشخصية به فكان لي الشرف أن أتعرف على الدكتور أحمد مرسي عن قرب خلال تدريسه لي أثناء دراستي بالمعهد العالي للباليه، إلى جانب أنني قد عاصرته فترة طويلة خلال عمله في إمارة الشارقة، حيث لمست عن كثب شغفه وحماسه الكبيرين للحفاظ على التراث الشعبي العربي، وتحديدًا المصري خلال زياراتي المتعددة، والتي امتدت على مدار عام كامل من التعاون، كان الدكتور مرسي دائمًا منفتحًا للنقاش حول القضايا التي تتعلق بالتراث الشعبي وكيفية الحفاظ عليه.

الدكتور مرسي لم يكن فقط عالمًا في الفولكلور، بل كان إنسانًا يشعر بمسؤولية عميقة تجاه الحفاظ على التراث الشعبي باعتباره جزءًا من الهوية الوطنية. في كل حديث دار بيننا، كان يظهر مدى تعلقه بهذا التراث، وهو تعلق لم يكن مجرد اهتمام أكاديمي، بل كان ينبع من إحساس إنساني تجاه ما يمثله التراث من موروث جماعي يعبر عن روح الأمة وتاريخها. كانت كل نقاشاتنا تدور حول كيفية الحفاظ على هذا التراث في ظل التغيرات السريعة التي يشهدها العالم، وأهمية توثيق الشخصيات المؤثرة في هذا المجال، وهو ما تجسد في مشروع "المأثورات الشعبية"، الذي كان أحد أبرز مشاريعه في الشارقة. من خلال هذا المشروع، كان يسعى الدكتور مرسي إلى توثيق وتكريم الشخصيات التي كان لها دور كبير في الحفاظ على التراث الشعبي. لم يكن هذا المشروع مجرد مهمة علمية، بل كان يعكس التزامه الشخصي تجاه تقدير وإحياء الذاكرة الثقافية. وفي كل مرة كنا نتحدث عن هذا المشروع، كان يظهر عمق اهتمامه بتفاصيل التراث الشعبي، ليس فقط في مصر، بل في جميع أنحاء العالم العربي.

الدكتور مرسي كان دائمًا ما يعرب عن قلقه من تأثير العولمة على الهوية الثقافية العربية، وكان يعتبر أن الحفاظ على التراث الشعبي يمثل مقاومة ثقافية ضد هذا التهديد. كان يؤمن أن كل قصة

[8] عميد المعهد العالي للفنون الشعبية

شعبية، وكل أغنية أو حكاية، هي جزء من هوية جماعية يجب الحفاظ عليها للأجيال القادمة . علاقته بالتراث الشعبي المصري كانت استثنائية. كان يتحدث عنه بحب كبير، مؤكدًا أنه ليس مجرد قصص وأساطير، بل هو أساس الهوية المصرية، والشريان الذي يربط الماضي بالحاضر. كان يتطلع دائمًا إلى إشراك الآخرين في مهمة الحفاظ على هذا التراث، حيث نظم العديد من ورش العمل واللقاءات الأكاديمية التي تهدف إلى نشر الوعي حول أهمية التراث الشعبي العربي.

الجانب الإنساني للدكتور مرسي كان يظهر في كل تصرفاته. لم يكن يسعى إلى الشهرة أو الاعتراف، بل كان يعمل بهدوء وتفانٍ في سبيل الحفاظ على تراثنا الثقافي. كان حريصًا على إشراك الجميع في هذا العمل، وكان دائمًا ما يظهر تواضعًا كبيرًا، رغم مكانته العلمية الرفيعة. خلال تجربتي معه في الشارقة، تعلمت الكثير من الدكتور مرسي. لقد علمني أن الحفاظ على التراث الشعبي ليس فقط مسؤولية أكاديمية، بل هو مهمة إنسانية تتطلب الشغف والتفاني. كان دائمًا يحفزني على التفكير في كيفية نقل هذه الرسالة إلى الآخرين، وكيفية حماية الهوية الثقافية في ظل التغيرات العالمية.

من أحد تجاربه المهمة وعميقة الأثر والتى شاركته فيها لسنوات– هو الأرشيف المصري للحياة والمأثورات الشعبية، والذى كان من مؤسسيه هو والدكتور أسعد نديم رحمه الله، كانت تلك التجربة تعكس عمق الاهتمام بتوثيق الفولكلور وتحفيز الشباب للمشاركة فى تلك المهمة، التى كان يتحدث عنها فى كل مكان، كان مؤمنًا بدور الشباب فى حمل راية التراث، وكان يشاركنا جميعًا هذا الاهتمام.

لقد كان الدكتور أحمد مرسي أستاذًا بحق تعلمنا منه الكثير، فلما لا وهو أحد أهم أعمدة الثقافة الشعبية المصرية والعربية، رحل أحمد مرسي عن عالمنا بعد أن ترك بصمة لا تُمحى في ميدان الأدب الشعبي والدراسات الفلكلورية.

كان الدكتور أحمد مرسي شخصية استثنائية لا تضاهى، حيث لم يكن مجرد أستاذ أكاديمي أو باحث علمي، بل كان نبراسًا للحفاظ على التراث الشعبي العربي، ومصدر إلهام للأجيال الشابة التي تعلمت على يديه كيف تقدّر التراث وتصونه.

الجدير بالذكر أن الدكتور مرسي قد أسس المعهد العالي للفنون الشعبية ليكون أول صرح أكاديمي من نوعه في مصر والمنطقة العربية، حيث وفّر منبرًا للدراسات المتخصصة التي تتناول التراث الشعبي بجميع أبعاده. ومن خلال أبحاثه ومؤلفاته نجح في تعريف العالم العربي بأهمية الثقافة الشعبية في تشكيل الهوية القومية.

لقد سعى دائمًا إلى الحفاظ على التراث من الضياع، وإلى توثيقه ونشره ليظل حاضرًا في وجدان الشعوب .لم يكن دوره قاصرًا على الساحة المصرية فحسب، بل امتدت مساهماته إلى العالم العربي كله. فقد شارك في مؤتمرات دولية، وأسهم في بناء جسور تواصل بين الثقافة الشعبية العربية والثقافات الأخرى، مؤكدًا على أهمية الحوار الثقافي كوسيلة للحفاظ على الهوية وتعزيز التفاهم بين الشعوب.

كما أن مؤلفات الدكتور أحمد مرسي تعددت فى موضعاتها حول الثقافة الشعبية وفنون الأدب الشعبي، خاصة كتاباته حول التراث الشعبي المصري ودوره في الحفاظ عليه، ومن أبرز مؤلفاته:

- **الأدب الشعبي قضاياه وفنونه:** هذا الكتاب يعد من المراجع الأساسية في دراسة الأدب الشعبي، حيث يناقش فيه قضايا الأدب الشعبي وفنونه المختلفة مثل الأساطير، الحكايات، الأمثال، والأغاني الشعبية.
- **دراسات في الفولكلور العربي:** يحتوي هذا الكتاب على دراسات متعمقة حول الفولكلور في العالم العربي، ويبحث في كيفية تأثير البيئة الاجتماعية والثقافية على الموروث الشعبي.
- **فنون الأداء الشعبي:** هذا العمل يركز على دراسة الأداءات الشعبية مثل الأهازيج، الرقصات الشعبية، والألعاب التقليدية التي تشكل جزءًا من التراث الثقافي العربي
- **الأغنية الشعبية العربية:** يناقش فيه د. أحمد مرسي تطور الأغنية الشعبية في العالم العربي ويحلل أصولها وتأثيراتها على الهوية الثقافية.
- **الأسطورة والمعتقدات الشعبية في العالم العربي:** يتناول الكتاب الأساطير والمعتقدات التي تشكل جزءًا مهمًا من الموروث الشعبي العربي ويبحث في كيفية تشكلها وانتقالها عبر الأجيال

هذه بعض مؤلفات د. أحمد مرسي، والتي تعكس إسهاماته الواسعة في حفظ وتوثيق التراث الشعبي العربي، إلى جانب تأثيره الكبير في هذا المجال الأكاديمي والثقافي.

في النهاية، يمكنني القول إن الدكتور أحمد مرسي لم يكن مجرد أستاذ وعالم في مجال الفولكلور، بل كان رمزًا للإنسانية والالتزام الثقافي. ترك بصمة لا تُمحى في قلوب كل من عملوا معه، وأنا أعتبر نفسي محظوظًا لأنني كنت جزءًا من هذه الرحلة الإنسانية والعلمية.

لقد كان الدكتور أحمد مرسي علمًا من أعلام الثقافة، وصوتًا داعمًا للحفاظ على التراث الشعبي، وجسرًا بين الماضي والحاضر، وبين الشرق والغرب. وسيظل إرثه الفكري والعلمي خالدًا، يلهم الأجيال المقبلة لتقدير التراث الشعبي، ومواصلة العمل على حفظه ونشره.

رحم الله الفقيد، وألهمنا الصبر على فراقه. ولا يسعني على المستوى الشخصي إلا أن أتذكره كثيرًا بكل الحب والتقدير فقد فقدت أستاذًا وصديقًا إنسانًا محبًا للعلم وللحياة.